١٥

نـــادى القتـــال

معاداة السامية هى معاداة السامية، حتى حينما يكون مصدرُها شخص يهودى مندمج فى مجتمع بيفرلى هيلز.

أرنون ميلتشان فى الفيلم الوثائقى "معركة فيلم برازيل" للمخرج جاك ماثيوز

كان عام ١٩٨٥ من أسوأ الأوقات بالنسبة لميلتشان وأفضلها. ومما لا يصدقه عقل، أنه مع انهيار ميلكو من حوله وانتشار اسمه فى الصحافة العالمية مرتبطاً بفضيحة تهريب المفاتيح النووية الوحيدة التى تم تسجيلها بإطلاقه

obeikandl.com

كان ميلتشان ينتج فيلمين شهيرين أحاطتهما المشاكل الكثيرة، وفى ذات الوقت كان يخوض ما ذاعت سمعته فى هوليوود باسم "معركة فيلم برازيل"، وهو نزاع حامى الوطيس بين ميلتشان وأحد أهم مديرى هوليوود التنفيذيين والذى صنع سابقة تاريخية ودفع بميلتشان إلى مكانة أسطورية فى مجال صناعة السينما. صكّ "اسم معركة البرازيل" صحفى متقاعد اسمه جاك ماثيوز، والذى غطى المشكلة بأكملها لصحيفة لوس أنجلوس تايمز فى منتصف الثمانينيات. وفى عام ١٩٨٧ كتب كتاباً تفصيلياً يحمل نفس الاسم بالتعاون مع ميلتشان والمخرج تيرى غيليام، يستحق فى حد ذاته أن يَصنَع فيلماً.

بدأ الأمر كله عندما قابل غيليام مخرج فيلم "مونتى بايثون" الشهير ميلتشان فى مساء بارد فى مارس ١٩٨٢ فى مطعم إليزيه ماتنيون فى باريس، والذى كان يستخدمه ميلتشان كمكتب غير رسمى له. ونظم هذا الاجتماع هارى

أولفاند وكيل روبرت دى نيرو.

كان غيليام، شأن كثير من المخرجين الذين يعتبرون أنفسهم فنانين فوق العادة، لديه شك قوى فى نظام هوليوود،وكان ميلتشان يكتسب بالفعل سمعة المنتج المستقل المستعد لخوض مشاريع محفوفة بالمخاطر لم تكن هوليوود المؤسسية لتقترب منها. وسرت الشائعات أيضاً،وكان لها قدر من الجاذبية، بشأن مصدر تمويله،وعمل ذلك على تحسين حالته المتبدية كمتمرد هوليوودى ثرى. قال غيليام: كل من تحدثت معه قال لى ابتعد عن هذا الرجل، إنه تاجر سلاح يصنع أفلاماً، إنه زلق للغاية ولا يمكنه التقيد بشروط أحد. كان الأمر لا يتجاوز أنهم يغارون منه إذ كان يحرز النجاح باستمرار. وارتأيت أنه إن كان الجميع فى هوليوود يتحدثون عنه بالسوء، وإن كانوا كلهم ضده، فلابد وأنه لا بأس به.

وفى الحقيقة، كان ميلتشان منزعجاً من سمعته المتنامية كمنتج غير تقليدى لأفلام غير تقليدية. وكان يريد فى النهاية أن يشق طريقه إلى هوليوود المؤسسية، لكنه شعر أن عليه أولاً أن يبرز ويترك بصمته، وسينطوى هذا حتمياً على مشاريع محفوفة بالمخاطر تسترعى انتباه الآخرين.

ولم يأت اختيار مطعم إليزيه ماتنيون كمكتب له مصادفة، بل كان المطعم فى نفس الشارع الذى فيه شقته، وعلى بعد مسافة سير من مكان عرض مسرحيته أماديوس، بطولة بولانسكى، والذى كان ينضم إليه أحياناً على العشاء بعد العرض، ويكون عادة فى قمة حماسته. وكان العشاء غالباً ما يتحول إلى حفلات صاخبة مترعة بالنبيذ، يشمل فيها الأصدقاء والضيوف ويتجادلون فى كل شىء من الفنون المعاصرة إلى السياسة الدولية. وبعد تبادل قليل من الأحاديث وشراب ليس بالقليل، انطلقت صداقة ميلتشان وغيليام، ومضى غيليام يخبر ميلتشان بمشروع فيلم يعده اسمه "برازيل"، وأضاف أن شركة باراماونت بيكتشرز قد وقعت معه عقداً.

وانبهر ميلتشان إذ رسم غيليام بالكلمات صورة زاهية لفيلم برازيل، مشهداً بمشهد، ولقطة بلقطة، ويداه تلوحان بحماسة فى كل الاتجاهات ويصدر فمه أصواتاً غريبة. ووجد ميلتشان صعوبة فى تتبع حبكة القصة، لكن كمتعلم بصرى، فقد استطاع رؤية الصور بوضوح فى خياله وتأثر بالقواعد العاطفية للقصة المجردة السريالية.

تخيل عالماً غريباً فى مكان ما بالقرن العشرين، أو فوهة جحيم رملية حضرية تغيرت معالمها بجراحات التجميل! وقد غزت الأتمتة كل أوجه الحياة، وكل الأعمال الورقية، وأصبحت البيروقراطية، وعدم الكفاءة، والإخفاقات الميكانيكية هى قانون العصر. يبدأ فيلم برازيل بسام لورى، وهو بيروقراطى وضيع اهتماماته الرئيسية

فى الحياة تخيلات حية عن امرأة، على ألحان أغنية الفرق الشهيرة فى الأربعينيات "البرازيل"، ومن هنا أتى الاسم.

ويتورط لورى بدون قصد فى مكيدة إرهابية عندما يتبين أن فتاة أحلامه جارةُ رجل تم القبض عليه لنشاطه الإرهابى نتيجة خطأ طباعى! أما الإرهابى الحقيقى فهو تقنى تسخين خائن.

وتقابَل موجة غامضة من التفجيرات الإرهابية من قبل وزارة إعلام متزايدة النفوذ، والتى لا يعترف بلطجيتها المستبدون قط، بالقبض على الرجل الخطأ وتعذيبه. ويصل سعى لورى المتزامن للبحث عن الحقيقة وعن الفتاة إلى مستويات أعلى فى وزارة الإعلام بالرغم من إشاراتهم التحذيرية بأن سعيه سيعرضه للخطر لا محالة، وسيعرضه "لتعذيب صديق"، سيدفعه فى النهاية إلى الجنون.

وكروح مستقلة، استطاع ميلتشان التماهى مع شخصية لورى ولم يستطع منع نفسه من التفكير فى وزارة إعلام أخرى عرفها جيداً فى حياته متمثلة فى وزيرة إعلام جنوب إفريقيا إسيشيل رودى.

ومع تأثير النبيذ، شعر ميلتشان برؤية غيليام النافذة تغوص فى أعماقه. كانت قصة قوية استغرقت من غيليام حوالى ساعة ليرويها. وإذ بدأ يتعب، وصل بولانسكى بعد انتهاء مسرحيته وحينها بدأ النبيذ الفاخر يتدفق حقاً. وفى منتصف الحديث الهادئ، التفت ميلتشان إلى غيليام وذكر بشكل تلقائى أن "برازيل" من المشاريع التى يود أن ينسب اسمه إليها.

وسأله غيليام "هل أنت جاد"؟

وأجاب ميلتشان "بالتأكيد، أتمنى لو استطعت".

وفى الصباح التالى، اتصل غيليام بمحاميه فى لوس انجلوس وكلفه بإلغاء الاتفاق مع شركة باراماونت. واتصل غيليام بعد ذلك بميلتشان وأبلغه تلك الأخبار.

كان ميلتشان قد ناقش بشكل عفوى تصوره لاسمه على فيلم غيليام الخيالى الغريب بينما يحتسى بضعة كئوس من النبيذ، لكنه فجأة! وجد نفسه ملتزماً بدفع ملايين الدولارات.

لم يكن قد قرأ النص، ولم تكن لديه فكرة عن الميزانية، ولم تكن لديه فكرة عمن سيشتركون فى الفيلم، ولم تكن لديه فكرة عن أجر تيرى غيليام كمخرج.

لكن ما كان يعرفه هو أن تيرى غيليام قد راقه بشكل تلقائى وكذلك الرؤية التى قدمها له الليلة السابقة.

واتصل ميلتشان بمحاميه كينيث كلينبيرغ فى لوس أنجلوس وطلب منه تحضير الأوراق. وأشار كينيث بوضوح إلى أن ميلتشان قد فقد عقله. ومع ذلك، فقد أعطى ميلتشان إشارة البدء فى المشروع. واستخلص غيليام من ميلتشان حقوق الإدارة الإبداعية كاملة وحقوق إصدار النسخة الأخيرة.

ومر أكثر من عام، وفى مهرجان كان السينمائى عام ١٩٨٣، وعندما بدأت الأمور تأخذ منحى شائقاً فى مشروع فيلم "برازيل"، كان الجميع يتحدثون عن فيلم "وانس أبون أتايم إن أمريكا" الذى بدأ تصويره، وفيلم "ذا كينغ أوف كوميدى"، والذى عُرِض لأول مرة فى الولايات المتحدة. وصل ميلتشان إلى مهرجان كان فى صحبة حاشيته روبرت دى نيرو وجيرى لويس والمخرج مارتن سكورسيزى. ولاحظهم مسئولو الاستوديو. وجذب غيليام الأنظار أيضاً فى ذلك العام مع عرض فيلم مونتى بايثونز "ميننغ أوف لايف". وقرر ميلتشان وغيليام تخصيص جزء من وقتهما للترويج لفيلم برازيل، وقدرا ميزانيته بحوالى ١٢ مليون دولار.

نظم شون دانييل، مدير الإنتاج فى شركة يونيفرسال ومن المعجبين بسلسلة أفلام مونتى بايثون، اجتماعاً مع ميلتشان وغيليام فى فندق كارلتون، نفس الفندق الذى تعرف فيه ميلتشان منذ عام على سيرجيو ليون. وفى نفس الغرفة تواجد بوب ريم، الرئيس الجديد لشركة يونيفرسال بيكتشرز، وإيان لويس مدير الإنتاج الدولى لشركة يونيفرسال، وشون دانييل نفسه. وعرض غيليام القصة بحماسته التصويرية الفائقة المعتادة. ولسوء الحظ، وبدون النبيذ، بدا مستوى الاهتمام بها متواضعاً ولم تبد الشركة أى التزام تجاهها. فقد كانت الشهية محدودة تجاه تلك النوعية من الأفلام.

ولدى خروجه من الفندق، قابل غيليام وميلتشان جو ويزمان المدير الجديد لشركة توينتييث سينشرى فوكس. وذكر ميلتشان فى الحال الاجتماع الذى كانا قد عقداه للتو مع شركة يونيفرسال، وبالغ فى وصف مستوى حماستهم للفيلم واقترح على ويزمان أن يغتنم الفرصة بينما مازال فى استطاعته ذلك.

وذكر ويزمان أنه قد يرغب فى الحصول على الحقوق الدولية، والتى قد تصل لثلث الميزانية، شريطة أن يحصلوا على التزام من شركة يونيفرسال بالحقوق الداخلية، والتى تمثل الثلثين الآخرين من الميزانية.

وتلقى ميلتشان الاتفاق الشفهى المحدود من ويزمان وحاول استغلاله لأقصى قدر ممكن. وهرع إلى هاتف غرفة الفندق وحاول الاتصال بريم فى الجناح الذى أتيا منه للتو، لكنه لم يجب الهاتف. وبكل جرأة ذهب ميلتشان مباشرة لغرفة ريم واقتحم اجتماعاً له بشريكيه.

"المعذرة يا سادة! لا أحتاج إلا لدقيقتين" قالها ميلتشان بإصرار، فوجه ريم ميلتشان إلى الغرفة المجاورة كى يتحدثا على انفراد.

– بوب! يجب أن أعرف فى الحال ما تريد أن تفعل؟ جون ويزمان ينتظر.

– كم سيكلف الفيلم؟

– ١٥ مليوناً.

– هل نحوز حقوق العرض العالمية؟

– كلا، لقد وعدت شركة فوكس بالحقوق الأجنبية للتو، يمكنك أن تنال الحقوق الداخلية بثلثى الميزانية.

– لا يمكننى القبول بذلك يا أرنون، لا يمكننى أن أدفع ١٠ ملايين. أقصى مبلغ هو ٩ ملايين

– لا بأس، ٩ ملايين إذن، سأسهم بالباقى.

وهكذا أُبرمت الصفقة مع شركة يونيفرسال فى أقل من لحظات قلائل. ثم هرع ميلتشان مجدداً إلى ويزمان بتأكيد من شركة يونيفرسال وجعله يلتزم بدفع ٦ مليون دولار بناء على التزام يونيفرسال. وخلال طرفة عين، رفع ميلتشان ميزانية إنتاج فيلم برازيل ٣ مليون دولار أخرى. وهرع غيليام وراء ميلتشان لاهثاً عبر أروقة الفندق، وقد أدهشته مناورات ميلتشان. وخلال أسابيع تم تحرير العقود.

لسوء الحظ، كانت أيام كل من ويزمان وريم فى شركتى فوكس ويونيفرسال محدودة، وعندما أجريت حركة تنقلات للموظفين فى الاستوديوهين، شك ميلتشان وغيليام أن فيلم برازيل سيتم الاستغناء عنه، خاصة فى يونيفرسال، حيث انتقل فرانك برايس من شركة كولومبيا بيكتشرز ليصبح رئيس مجلس إدارة مجموعة الأفلام الطويلة.

وسارع غيليام وميلتشان بإنتاج "برازيل" ليضعا شركة يونيفرسال فى موضع حرج باهظ التكلفة إذا قررت الانسحاب من الإنتاج. صار على برايس والذى كان قد هم بالفعل فى الانسحاب من فيلم برازيل، الآن التعايش مع الفيلم.

كان النص الذى تمت الموافقة عليه فى العقد بين شركة يونيفرسال وميلتشان من ١٦١ صفحة. وكان كلا الطرفين يعرفان ما يكفى عن صناعة الأفلام بحيث يدركان أن صفحة واحدة فى النص -بشكل عام- تترجم إلى دقيقة واحدة فى الفيلم، لذا كان من الواضح أن الفيلم ستكون مدته حوالى ساعتين و٤٠ دقيقة، وكانت هذه مدته بالضبط عندما تم تقديمه إلى مسئولى شركتى فوكس ويونيفرسال.

وانصرف مسئولو الشركتين من العرض الأصلى للفيلم بوجهتى نظر مختلفتين تماماً.

كان لارى جوردون من فوكس والذى حل محل جو ويزمان، مرتاحاً لما شاهده، وكان الفيلم جاهزاً للتوزيع دولياً من جانب شركة فوكس. لكن مديرىْ شركة يونيفرسال، بالرغم من أنهما كانا مجاملين، كانا متشددين لاعتقادهما أن الفيلم كان طويلاً وكئيباً أكثر مما يجب. وكانا قلقين على إمكانية تسويق مثل هذا الفيلم السيريالى. واعتبراه فيلماً مستفزاً من الناحية الفنية، وهو تعبير مهذب فى هوليوود لوصف الأفلام التى تعتبر فاشلة تجارياً.

وعقب عرض الفيلم الأصلى، مرت الشهور بدون أن تصل أخبار لغيليام أو ميلتشان من شركة يونيفرسال بخصوص التوزيع الداخلى. ثم ذات يوم تلقى ميلتشان مكالمة من ميلفين ساتلر محامى شركة يونيفرسال يشير فيها إلى أن البند فى عقده مع شركة يونيفرسال بخصوص مدة الفيلم تُرِك خالياً من دون قصد.

وشرح أن هذا خطأ كتابى بسيط وطلب من ميلتشان وغيليام أن يوقعا على تعديلٍ لتأكيد مدة الفيلم.

ووصف ساتلر الأمر بأنه روتينى، وطلب من ميلتشان التوقيع على التعديل كخدمة شخصية، حتى ولو كان من أجل تغطية أخطاء المحامى فقط. ولم يفكر ميلتشان كثيراً فى الأمر، لكن غليام راوده الشك فى الحال وحثه على ألا يوقعه. واستشعر أن شركة يونيفرسال تعتزم استغلال قضية الحد الزمنى لإجبارهم على قبول الإدارة الإبداعية للفيلم.

وفى تلك المرحلة، كان ميلتشان أقل ارتياباً من غيليام وأكثر اهتماماً بالإبقاء على علاقة إيجابية مع شركة يونيفرسال. وفى ١٠ أكتوبر ١٩٨٣، أرسل التعديل الموقع بالفاكس، الذى نص على أن وقت العرض ليس أقل من ٩٥ دقيقة وليس أكثر من ١٢٥ دقيقة.

وآنذاك كان غيليام قد أرسل النسخة الأخيرة، واجتمع حوالى ٣٠ من كبيرى مدراء شركة يونيفرسال فى مسرح ألفريد هيتشكوك فى استوديوهات يونيفرسال فى لوس أنجلوس لتقييم المشروع. وشاهدهم غيليام وهم يخرجون من المسرح ولاحظ أن المديرين الشباب بدوا متحمسين للغاية، لكن من يرأسونهم والأكبر سناً بدوا متوترين وقلقين.

وسرعان ما اختفى فرانك برايس، فيما اعتقد ساتلر المحامى الذى طلب توقيع التعديل بشأن مدة الفيلم الذى رآه طويلاً أكثر مما يجب. وكان الرجل الأعلى منزلة فى الغرفة هو سيدنى شاينبيرغ، رئيس شركة إم سى أيه، الشركة الأم ليونيفرسال. ورأى شاينبيرغ الفيلم طويلاً للغاية وكئيباً، وفاشلاً تجارياً. وقال "سنضطر للترويج له على أنه فيلم هذا العقد"، وكانت العبارة تلطيفاً هوليوودياً لرأيه

"لا أدرى كيف سنبيع هذا الفيلم الردىء بحق السماء!".

لم يفهم ميلتشان، بإلمامه القليل بالثقافة الأمريكية، هذا التلطيف واعتبر أن شاينبيرغ يعنى أنه فيلم رائع، لكن غيليام فهم فى الحال أنهما أمام طريق وعر مع شركة يونيفرسال وأعد نفسه للمعركة. ولم يشاركه ميلتشان رؤيته.

لم يَسرِ اجتماع التسويق اللاحق على ما يرام، حيث قرر مدراء يونيفرسال أنه من الأفضل معاملة فيلم برازيل كفيلم استثنائى سيعرض بشكل حذر وانتقائى فى مهرجانات الأفلام الفنية أولاً، مثل مهرجان نيويورك السينمائى فى سبتمبر. وأصر غيليام فى تلك الأثناء على أن يعرض الفيلم بشكل كامل، وتدهورت الأمور سريعاً مذاك. حاول ميلتشان المحب للسلام، تدبير مكالمة هاتفية بين غيليام وشاينبيرغ.

وكان من المفترض أن يتصل غيليام بشاينبيرغ فى وقت محدد لكن عندما اتصل به، أخبروه أن شاينبيرغ غير متاح. وشعر غيليام بالإهانة وقال لسكرتيرته أخبريه عندما يصبح متاحاً بأننى أظنه وقحاً للغاية. وشعر شاينبيرغ بالإهانة، وعندما اتصل بغيليام أخبره بذلك.

كان شاينبيرغ أحد أقوى مديرى الاستوديوهات فى هوليوود قد خاض قدراً كافياً من النزاعات وأصبح مخضرماً فى خوضها. واتصل برئيسه ليو واسرمان، الرئيس الأسطورى لمجلس إدارة شركة إم سى إيه، وطلب منه مشاهدة الفيلم كخدمة شخصية. كان واسرمان من المدرسة القديمة وكان فيلم برازيل مبهماً كلياً بالنسبة له. وكان قراره كما هو متوقع أن الفيلم لا يستحق العرض،وبذا، نال شاينبيرغ رخصته لخوض الحرب.

وعقب اختبار عرض الفيلم على طلاب جامعة كاليفورنيا،والذى أظهر أن ٥٠٪ من الجمهور أعجبهم الفيلم ولم يعجب الخمسين بالمائة الآخرين،وقابل ميلتشان

وغيليام شاينبيرغ فى مكتبه فى البرج الأسود فى استوديوهات يونيفرسال. وبعد بضعة تعليقات إيجابية عن مدى تشويق عناصر الفيلم وإبداعه، تحدثوا فى العمل، واتفقا على أن الفيلم يجب تقليل مدته،وأن توضع له نهاية مختلفة، على أنه يجب تغيير بعض المشاهد، وفيما جلس ميلتشان صامتاً كان غيليام يستشيط غضباً. ورفض كل اقتراح قدمه شاينبيرغ بزعم أن الفيلم هو الذى" اتفقنا كلنا على تصويره". لكن شاينبيرغ تمسك بموقفه وأصر على أن الفيلم لن تعرضه شركة يونيفرسال بدون تلك التعديلات. فهب غيليام من مقعده وقال بوضوح "قبل أن يحدث ذلك سأحرق النيجاتيف والبرج الأسود".

وهكذا تطورت الأمور لما هو أكثر من سوء تفاهم بسيط.

الشيء الوحيد الذى كان فى صالح شركة يونيفرسال فى العقد هو بند مدة الفيلم المعدل. وكان بمقدور غيليام أن ينتقص بضع دقائق من مدة الفيلم وحينها لم يكن ليتوفر أى مسوغ قانونى لشركة يونيفرسال. لكن غيليام رفض فعل ذلك. وآنذاك، كانت شركة يونيفرسال مدينة لميلتشان بـ٤,٥ مليون دولار عن فيلم برازيل، وكانت ترفض تسديدها حتى مطابقة بنود العقد تماماً،وفى تلك المرحلة كانت المشكلة الوحيدة هى مدة الفيلم. لوح شاينبيرغ بإمكانية عدم تسديد المبلغ لميلتشان، وبدأ ميلتشان يستاء من ذلك.

وبالرغم من شعوره بالغضب،كان غيليام يستمتع بما يضمره الموقف من سخرية، إذ غدت شركة يونيفرسال تمثل بالنسبة له البيروقراطية المؤسسية التى يسخر منها فيلم برازيل. كان وضع تحاكى فيه الحياة الفن. لكن غيليام كان متخوفاً من شعور ميلتشان بالتمزق بين رؤيته للفيلم والمبلغ الذى تمنعه عنه شركة يونيفرسال. لكن ميلتشان قال إنه ليس ثمة عيب فى محاولة استرداد

حوالى ٥ ملايين دولار من منظمة تستهين بك وتخدعك.

ومن باب المجاملة لميلتشان، نقح غيليام الفيلم حتى أصبحت مدته ١٢٥ دقيقة وأرسله إلى شركة يونيفرسال. وكان الوحيد الذى شاهد تلك النسخة هو سيد شاينبيرغ. ولم يسعد بها، وكلف ميلفين ساتلر محامى شركة يونيفرسال بإرسال خطاب إلى غيليام لإخطاره بأنه ينتوى البدء فى تنقيح فيلم برازيل بمعرفته، وكان هذا حقهم بموجب العقد بعد رفض المخرج للعديد من المحاولات المعقولة للتعاون معهم، وهو بند لم يفرضه من قبل أى استوديو فى تاريخ هوليوود إلا فيما ندر.

وأرسلت شركة يونيفرسال عقب ذلك طلباً رسمياً إلى غيليام بكل اللقطات ومقاطع الصوت حتى يتمكنوا من البدء فى عملية التنقيح. واستجاب غيليام بأن أرسل لهم مجموعة كاملة من القصاصات، وقليلاً من اللقطات المصورة ومقاطع الصوت وكان يعرف أنهم سيستغرقون أشهراً لمحاولة فهمها، وحينها سيكون قد جهز النسخة النهائية. فى تلك الأثناء، كان شاينبيرغ الذى كان يدفع للعاملين أجورهم بالساعة لمراجعة اللقطات المترهلة، كان يستشيط غضباً.

فى مطلع يوليو، أرسل غيليام نسخته النهائية الثانية إلى شركة يونيفرسال. ومجدداً لم تعجب شاينبيرغ، لكن فى تلك المرة لم يكن لديه خيار سوى الإفراج عن مبلغ ٤٫٥ مليون دولار التى يدين بها لميلتشان، حيث وفى بشروط العقد، ثم أخطر غيليام عبر ساتلر، أن شركة يونيفرسال ستتولى عملية تنقيح كاملة للفيلم بدون مشاركته وستغيره بشكل جذرى. كان ذلك إعلان حرب بالنسبة لغيليام. وتبادل كلاهما الخطابات الغاضبة، لكن بمرور الوقت تبين لكل من غيليام وميلتشان بكل وضوح أن شركة يونيفرسال ليس لديها نية لعرض فيلم برازيل كما تصوروه بداية.

وبالرغم من كل ما حدث، كان ميلتشان لا يزال يعتقد بسذاجة أنه على علاقة طيبة بشاينبيرغ وبأستوديهات يونيفرسال. لكن شاينبيرغ كان ينظر لميلتشان بأسلوب جد مختلف. وبدا من مقابلاتهما الأولى أنه ينظر لميلتشان بتعالى وكأنه تاجر سجاد شرقى وكيهودى جلف، مهووس بالمال – بخلاف شركة يونيفرسال بالطبع! – ويسعى لاكتساب الاحترام باستخدام ثروته المشبوهة لينخرط فى مجال صناعة الأفلام.

وكانت تلك رؤية مثيرة للاهتمام، إذ أخذنا فى الاعتبار العلاقات السابقة والموثقة جيداً لليو واسرمان رئيس شاينبيرغ ورئيس مجلس إدارة شركة إم سى إيه لفترة طويلة بالمافيا. ومن المرجح أن موقف شاينبيرغ كان ليتغير إذا عرف المزيد عن مغامرات ميلتشان السرية وإنجازاته.

واستغرق ميلتشان بعض الوقت ليدرك وجهة نظر شاينبيرغ، لكنه فى النهاية وجد نفسه مجبراً على الاختيار بين ما اعتبره علاقة عمل مع شركة يونيفرسال والتزامه برؤية مخرجه الفنية. وكان ذاك اليوم يقترب بسرعة.

وبحلول أواخر أغسطس ١٩٨٥، نشرت جريدة لوس أنجلوس تايمز والعديد من الإصدرات الأخرى على صفحاتها الأولى عدم مثول ريتشارد كيلى سميث لمحاكمته بتهم تهريب المفاتيح النووية، وظهر اسم ميلتشان فى كل تلك المقالات تقريباً.

وفى ذات الوقت تقريباً، ظهر اسمه أيضاً فى قسم التحقيقات الصحفية بجريدة لوس أنجلوس تايمز حيث تم تناول النزاع المتفجر الآخر الذى كان طرفاً فيه. وفى ذلك المقال وصف ميلتشان للصحفى جاك ماثيوز قصة نابضة بالحياة عن فيلم مذهل تم تسليمه فى الوقت المحدد له وبميزانية أقل من المتفق عليها لكنهم

تصيدوا أخطاءه وأبقى على الفيلم رهينة فى مكتب مسئول الاستوديو البيروقراطى الفظ الذى لا يفهم الرؤية الفنية للفيلم ويريد أن يؤدى دور المونتير لعمل فنى صنعه غيره. وأخبر ماثيوز أيضاً بأنه يريد أن يشاهد فيلم برازيل أكبر عدد من النقاد حتى يقرروا بأنفسهم ما إن كانت تصرفات مسئول الاستوديو مبررة وما إن كان حتى مؤهلاً لتقييمه.

بعدما أغلق ميلتشان الهاتف مع جريدة لوس أنجلوس تايمز، أدرك أنه قد بلغ نقطة اللاعودة، وأنه تجاوز الخط الأحمر وأن علاقته بشاينبيرغ وبالتالى مع استوديوهات يونيفرسال ستتدهور فى الحال. وكان أرنون يعرف أيضاً منذ نعومة أظافره كطفل فى إسرائيل أنه إن وجد نفسه فى خضم معركة، فعليه أن يقاتل لينتصر، ومنذ تلك اللحظة تأهب للقتال. وكما هو متوقع، اتصلت الصحيفة بشاينبيرغ لسماع جانبه من القصة. ولا داعى للقول إنه لم يكن سعيداً.

وخلال أيام كان العنوان المنشور فى القسم الفنى فى جريدة لوس أنجلوس تايمز هو: برازيل: فيلم لا تتحمله أمريكا. وكان المقال مدمراً بالنسبة لشاينبيرغ. وتم تصوير ميلتشان كمنتج يذود عن رؤية مخرجه المتأهب لتحدى الآلة الهوليوودية ومسئولها المتحجر ذى الحلة الفاخرة القابع فى البرج الأسود. وصيغت القضية على أنها حالة من الاضطهاد الفنى، والرقابة، والانتهاك البيروقراطى. وعرض ميلتشان حتى أن يدفع كل النفقات لأى صحفى أمريكى جاد مستعد لمشاهدته خارج الولايات المتحدة. وقال إنه سيستأجر دار عرض فى تيهوانا، المكسيك، وأنه سيُقِل نقاد الأفلام بالحافلة إلى هناك ليُبدوا رأيهم فى الفيلم وليكوّنوا آراءهم الخاصة حول حكم سيدنى شاينبيرغ فى هذا الشأن.

كان مقالاً مدمراً. وتم تصوير شاينبيرغ كرجل متعنت متعجرف وغير عقلانى.

وكان مسئولاً كبيراً في استوديو بهوليوود، رجلاً اعتاد احترام الناس له وحتى خوفهم منه. كما كان معتاداً على تملق الناس له ليل نهار، وأنه غير مسئول أمام أحد سوى الله وليو واسرمان، وليس بذلك الترتيب بالضرورة. وفجأة، وجد شاينبرج متمردين يهينانه علانية، ويصورانه كصانع أفلام أخرق محبَط مفرط الطموح، وأدرك أنها البداية فحسب، وكان محقاً في ذلك.

وتابع ميلتشان قصة جريدة لوس أنجلوس تايمز مع التماس شاينبيرغ من خلال العديد من الخطابات لعرض فيلمه في الوقت الذي يسمح بترشحه لجائزة الأوسكار عن عام ١٩٨٥ . وكان يضمر أن شاينبيرغ لا يدرك المادة الفيلمية التي تصلح للترشح لجائزة الأوسكار عندما يراها. وكانت تلك بداية ما وصفه غيليام بحرب الغوريلات الشرسة التي كان شاينبيرغ هدفها الثابت، ولم يكن ليأمل بأي شكل في الفوز على صعيد العلاقات العامة.

واقترح ميلتشان عرض فيلم برازيل في مهرجانات أفلام خارج الولايات المتحدة قائلاً "من فضلكم، تعالوا وشاهدوا ما لا يودكم مسئول الاستوديو الأمريكي أن تشاهدوه".

وبلغ أمر العروض العالمية للفيلم الصحافة الأمريكية محدثة ضجة هائلة عادة ما تدفع الاستوديوهات ملايين الدولارات مقابلها. صرحت ڤاريتي أهم مجلة تجارية بأن غيليام والمنتج ميلتشان أعلنا أنهما سيفعلان كل ما بوسعهما لإحباط نية استوديوهات يونيفرسال لإعادة مَنْتَجة فيلم الكوميديا السوداء ذي الرؤية المستقبلية "برازيل" واختصاره.

ونشر غيليام وميلتشان بعد ذلك إعلاناً على صفحة كاملة في مجلة ڤاريتي جاء به بخط كبير صارخ "عزيزي سيد شاينبيرغ، متى ستفرج عن فيلمي برازيل؟"

وأصبح الفيلم حديث الأسبوع فى المجال السينمائى،وتبنى القضية المخرج الأسطورى أورسون ويلز علناً. وقرر غيليام عرض الفيلم فى جامعتين سينمائيتين فى منطقة جنوب كاليفورنيا ودعا الصحافة، ولم يكن الفيلم سيعرض بشكل رسمى، بل لأجل المناقشة الأكاديمية. وكانت الجامعتان اللتان اختارهما هما جامعة جنوب كاليفورنيا وجامعة كاليفورنيا للفنون. وعندما عرف شاينبيرغ بالأمر، اتصل شخصياً بروى هايديكر مدير العمليات فى جامعة جنوب كاليفورنيا، وأخبره أن شركة يونيفرسال تملك حقوق عرض الفيلم فى الولايات المتحدة وأن أى عرض للفيلم يعد انتهاكاً. ولم يطلب منه صراحة أن يحظر عرض الفيلم فى الحرم الجامعى، لكن شاينبيرغ كان رجلاً قوياً ووصلت الرسالة لهايديكر بكل وضوح. وألغى عرض الفيلم بينما كانت قاعة العرض مكتظة فوق سعتها بالطلاب الذين أملوا فى مشاهدة الفيلم الذى أثار كل تلك الجلبة. وحدثت مواجهة حادة بين غيليام ومحاميه إيريك وايزمان وهايديكر. وانتظر الطلاب بنفاد صبر بينما كان غيليام يعتلى المسرح بشكل متقطع ليخبرهم بالمستجدات، لكن هايديكر رفض السماح لاختصاصى العرض بعرض الفيلم، واتهمه غيليام بصوت عال من على المسرح بأنه أشبه بحارس معسكر نازى، يتعامى عن الأفعال الشريرة.

حاول وايزمان تخطى هايديكر واتصل براسلِ مكفريغور، رئيس جامعة جنوب كاليفورنيا للفنون السينمائية، لكنه لم يستطع تجاوز سكرتيرته،والتى أخبرته أنه مشغول. وعندما أعلن غيليام أن مكفريغور مشغول لحد أنه لا يستطيع تلقى مكالمته، غادر حوالى ٦ طلاب المسرح وساروا حتى مكتب مكفريغور ليطالبوه بالخروج ليتحدث إليهم. واختبأ مكفريغور فى المكتب حتى بدأ الطلاب يهتفون اخرج! اخرج!. وكان الأمر يحتمل التطور لما هو أسوأ من ذلك لكن غيليام تدخل لتهدئتهم ولتجنب مظاهرة حاشدة.

وتم تأجيل عرض الفيلم لكن وجهة النظر وصلت.

لكن، كان عَرْض الفيلم فى جامعة كاليفورنيا للفنون بعد بضع ساعات تجربة مختلفة، إذ امتلأ المسرح عن آخره حتى أصبح عرضة لخطر الحريق. وقوبل الفيلم بحماس رائع من الطلاب، والذين شعروا وكأنهم مشتركون فى نشاط هدام. عقب ذلك أرسل الطلاب خطاباً مؤثراً إلى شاينبيرغ يطالبونه فيه بالإفراج عن الفيلم.

ومضى غيليام يعرض الفيلم بشكل سرى فى المنازل الخاصة لصفوة نقاد الأفلام فى لوس أنجلوس، الأمر الذى ألهم بعض النقاد لنشر مقالات إطرائية فى الصحف والمجلات، مما جعل شاينبيرغ يبدو أكثر رعونة. فى الصحافة، بدا أن الجميع قد أعجبهم الفيلم. وبدأ شاينبيرغ يدرك أخيراً أن عليه رواية جانبه من القصة ووافق على إجراء مقابلة مع جاك ماثيوز فى جريدة لوس أنجلوس تايمز.

وجه شاينبيرغ نقداً لاذعاً لفيلم برازيل وميلتشان وغيليام بطرق لم يفعلها أى مدير تنفيذى لاستوديوهات هوليوود من قبل أو من بعد. ووصف فيلم برازيل بأنه مسروق من فيلم "١٩٨٤" مع إدخال بعض عناصر التألق لكنه فى الأصل لا يستحق العرض. ووصف غيليام بأنه مخرج غير كُفء مغرور. وعرض شاينبيرغ بعد ذلك بيع الفيلم مرة أخرى لميلتشان.

واقتنص ميلتشان تلك الفرصة وطرح النقاش فى الحال مع شركة يونايتد أرتيستس. ثم اتصل بشاينبيرغ وطلب شراء الفيلم منه بـ ٤,٥ مليون دولار. وأصر شاينبيرغ على ٥ مليون دولار بالإضافة إلى نسبة ٣٠٪ من أرباح تأجير فيلم الفيديو، والعروض التليفزيونية الخاصة، والنشاط النقابى. ثم أعلن بعد ذلك عرضه على الملأ، وصرح للصحافة قائلاً:

"أرنون، لدينا فى تكساس مثل شائع يقول: ضع أموالك حيث يكون فمك، وأنا

واثق أنه له مثيل بالعبرية". وكان هذا تصريحاً مثيراً للفضول نظراً لأن ميلتشان كان يجازف بأمواله الخاصة بينما كان شاينبيرغ ينفق من أموال الشركة.

ورد ميلتشان فى عام ١٩٨٥ على ما يعتبره حتى يومنا هذا إساءة متعجرفة ومعادية للسامية وقال "معاداة السامية هى معاداة السامية، حتى عندما تصدر من يهودى مندمج فى مجتمع بيفرلى هيلز".

واستمرت المفاوضات المتوترة وغير المثمرة، لكن حدث شيء بعد ذلك لم يستطع حتى سيد شاينبيرغ التغاضى عنه، وكان ذلك شيئاً محرجاً للغاية جعله يستسلم. فى ١٨ ديسمبر ١٩٨٥، التقى اتحاد نقاد أفلام لوس أنجلوس فى نادى بيفرلى هيلز للصيد لاختيار الفائزين فى مختلف فئات الأفلام لعام ١٩٨٥ . ولم يَرِد فى اللوائح ما ينص على عدم ترشيح الأفلام التى لم تعرض بعد. وقرروا أن فيلم برازيل من ضمن الأفلام المرشحة مع "بيتزيز أونور" و"ران" و"آوت أوف أفريكا" و"ذا كالر بيربل" و"كيس أوف ذا سبادير" و"ومان" و"ماسك" و"باك تو ذا فيوتشر". وعندما تم احتساب الأصوات، فاز فيلم برازيل بجائزة أفضل نص، وأفضل مخرج، وأفضل فيلم لعام ١٩٨٥ . وبالطبع جاءت الأخبار الهامة كصدمة لشاينبيرغ. وتلقى ميلتشان المكالمة بينما كان فى فراشه فى فندق الدبلوماسيين فى ستوكهولم. وعندما أخبروه قفز من فراشه واصطدم رأسه وكاد يفقد وعيه. وانقطعت المكالمة.

وبلغت غيليام الأخبار عبر جهاز الرد الهاتفى. وانطلق يرقص فرحاً فى مطبخ منزله بينما كانت عائلته تشاهده باستمتاع. وعرف أنه، بحكم العادة، ستنشر شركة يونيفرسال إعلاناً فى مجلة ديلى ڤاريتى لتهنئة الفائزين، وعرف أن شاينبيرغ لن يجبن أكثر من ذلك وقال: ربما سنفاجأ، ويحقق الفيلم نجاحاً ساحقاً. أمل أن يحبه الجمهور وأن تبلغ أرباحه الـ١٠٠ مليون دولار حتى أُعزِى نجاحه إلى السيد غيليام

والسيد ميلتشان.

وتم الإفراج عن الفيلم أخيراً، وثبت صحة تنبؤات شاينبيرغ التجارية المتشائمة. ولأسباب متعددة، منها فشل شركة يونيفرسال فى التسويق والتوزيع، تم عرض فيلم برازيل لفترة وجيزة محبطة لشباك التذاكر. ومع ذلك، فقد احتل مكانته فى شريحة الأفلام السينمائية الكلاسيكية، وبمرور الوقت عوّض خسائره. لكنه لا يَجتذب حالياً إلا القليلين. وفى الأساس، يذكر الناس فيلم برازيل كشرارة لأشهر المعارك فى تاريخ السينما، وأن شخصين مغمورين هزما أحد أقوى المسئولين لأحد أكبر الاستوديوهات السينمائية، ولم يهزماه فحسب بل وأهاناه أيضاً.

عندما تحدى شاينبيرغ كلاً من ميلتشان وغيليام، لم تكن لديه فكرة عما كان يقحم نفسه فيه. وظن أنه سيسحقهما كالحشرات، كأى شخص يجرؤ على تحدى نظام الاستوديو. ولاحظ الناس ذلك، وكأبعد ما يكون عن تدمير مسيرته المهنية، فقد صنع ميلتشان اسماً لنفسه على حساب شاينبيرغ. وفى حوار معه بعد بضع سنوات، زعم شاينبيرغ أنه لا يذكر من النزاع إلا بعض المشاكل المتعلقة بالعقد، ولّمح بذلك إلى أنها كانت عقبة تافهة فى طريقه، نجح فى تخطيها.

لكنه لسبب ما استطاع أن يتذكر ما يكفى عن ميلتشان ليصرح بالآتى: "لم يؤكد أحد أن السيد ميلتشان لديه أية موهبة فى هذا المجال. بل إن لديه سلسلة من الأعمال الفاشلة تماماً. أعتقد أن أكبر خدمة يمكن أن يقدمها لمستقبل السينما هى أن يستأنف أنشطته فى مجالات أخرى". وبالطبع لم تكن لديه أدنى فكرة عن مشاريع ميلتشان الأخرى.

وظل سيد شاينبيرغ مديراً لشركة إم سى أيه يونيفرسال حتى عام ١٩٩٥، وعندما تم إقصاؤه من قبل المالك الجديد وهى شركة ماتسوشيتا، تم إنقاذه بصفقة

ثمينة لتأسيس استوديو إنتاج وهو في طريقه للرحيل. وأسس شركة وأسماها "ذا بابل فاكتوري"، وأنتجت عدة أفلام فشلت في شباك التذاكر مثل "فليبر" و"ماكهيل نيفي". ولم تترك انطباعاً جيداً على شركة يونيفرسال التي طبقت الشرط الوقائي وأنهت العلاقة. وأصبح ميلتشان أهم منتج مستقل في هوليوود بسلسلة من الأفلام الضخمة.

وبعد أعوام، وفقاً لميلتشان، وفي يوم مُشمس في برود بيتش، ماليبو، كان يتمشى عندما قابل كلباً ودوداً وبدأ يلعب معه. وفي لحظات ظهر مالك الكلب فجأة وكان مستاءً وقال

"معذرة! هذا كلبي".

والتفت ميلتشان ليرى سيد شاينبيرغ وقال متفاجئاً "أعتقد أن هذا يعني أننا صرنا جارين".

ولم يكن شاينبيرغ ودوداً وأجاب "ستنخفض قيمة العقارات هنا بسببك". ولم يتحدثا مذاك.

وعقب فيلم برازيل، تدهورت علاقة ميلتشان بتيري غيليام بسبب نزاع مالي. إذ كان ميلتشان يمتلك نصف فيلمهما التالي "ذا أدفينشر أوف بارون مانتشوسين". وفي مقابل التخلي عن نصيبه في الفيلم، طالب ميلتشان بتعويض. "وقعنا علاقة عمل أنا وهو. كنت أمتلك نصف الفيلم وكان عليّ التضحية به. ولا يعني بيع نصف الفيلم مقابل ٧٥ ألف دولار أنني صعب المراس، وأخبرت محاميّ أن يعقد صفقة يرأف فيها قدر الإمكان بتيري".

وفي النهاية، ثبت أن غريزة ميلتشان في الانفصال عن مشروع الفيلم وعن

تيرى غيليام كانت حكيمة من الناحية العملية. ما بدأ بميزانية ٢٣ مليون دولار تضخم حتى صار حوالى ٥٠ مليون دولار. وكانت إيرادات الفيلم أقل من ٦٠٠ ألف دولار فى العطلة الأسبوعية الأولى للفيلم، وإجمالى ٨ مليون دولار فى الولايات المتحدة. أى أنه كان من أسوأ كوارث شباك التذاكر فى تاريخ هوليوود. وهكذا تفادى ميلتشان أزمة أخرى. ومع ذلك، عندما طلبنا رأى ميلتشان فى أفلامه الأولى، ردد تعليقات أدلى بها لصحفيين منذ بضعة أعوام وقال:

"كانت تلك أفضل أيام حياتى. أنتجتُ عدة أفلام مذاك، وكانت الأفلام الأولى تلك الأكثر تحدياً. لم أشعر بمثل هذا الشغف قط، من الناحية المهنية، مثلما شعرت به فى تلك المشاريع الأولى". وبقدرته الاستثنائية على الفصل بين شئون حياته، نجده غير منتبه للمخاطر الهائلة، والصعوبات، والانتكاسات التى عانتها فى نفس العام مؤسسته الأخرى الأكثر سرية. وفى عام ١٩٨٥ شعر بأنه مفعم بالحياة أكثر من أى وقت آخر، بالرغم من التحديات، أو ربما بسببها.